البعد المأساوي ومكوّنات الصّورة المشهديّة لمدينة حلب في رواية « لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة» لخالد خليفة أنموذجا.

The tragic dimension and components of the scenic image of the city of Aleppo in the novel « la sakakin fi matabikh hadhih almadinati» by Khaled Khalifa as a model

عبد الغنّي لبيبات *

جامعة برج بوعريريج (الجزائر)، abdelghani.lebibat@univ-bba.dz

Abdeghani Lebibat *

University of Bordj Bou Arreridj (Algeria)

تاريخ الاستلام:2023/03/29 تاريخ القبول:2023/08/24 تاريخ النشر:2023/10/31

ملخص:

تسعى هذه الدّراسة إلى اكتشاف مكوّنات الصّورة المشهديّة التي رسم بها الرّوائي خالد خليفة مدينة حلب من خلال روايته «لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة»، والتي على أساسها شكّل دلالة مأساوية عميقة وأبعادا تراجيديّة في تناول فضاء المدينة، إذ رسم لنا مدينة متفرّدة غائصة في أعماق التّناقض واللاّجدوى، متناولا مصير عائلة حلبيّة بين الماضي والحاضر، تداخل مصير حياة أفرادها بمصير المدينة التي راحت تغيّر أثوابها وملامحها بتغيّر بنيتها الاجتماعية وظروفها السّياسيّة، واقفا بتحليل عميق دقيق عند الخصائص السيكولوجية المميّزة لشخوص روايته، والتي راحت تعضّد الدلالة العامّة وتضفي مزيدا من التّشرذم والطّابع التراجيدي الذي انسرب على المدينة بكلّ جزئيّاتها وتفاصيلها.

الكلمات المفتاحية: الفضاء المديني، صورة مشهديّة، طابع مأساوي، الموت، الأمكنة.

Abstract:

This study seeks to discover the components of the scenic image with which the novelist Khaled Khalifa drew the city of Aleppo through his novel « la sakakin fi matabikh hadhih almadinati», On the basis of which he formed a deep tragic significance and tragic dimensions in dealing with the city's space, He drew a unique city for us, steeped in the depths of contradiction and futility, Discussing the fate of an Aleppo family between the past and the present, The fate of the lives of its people overlapped

* المؤلف المرسل.

with the fate of the city, which began to change its clothes and features with the change of its social structure and political conditions, Standing with a deep and accurate analysis of the psychological characteristics of the characters in his novel, Which began to support the general significance and add more fragmentation and the tragic character that permeated the city with all its parts and details.

Keywords: Urban space; Scenic image; Tragic character; death; Places.

1- مقدمة:

لم تعد الرّواية المعاصرة حبيسة الاتجاه التّقليدي في التعامل مع الحيّز المكاني، وإنّما صارت تتعامل معه بفنيّة متعالية، وصارت تتخذ من المدينة فضاء عامّا شاملا لمجمل أحداثها، بل إنّ المدينة تتحوّل إلى بؤرة للعمل الفنيّ ومركز ثقله في كثير من الأحيان، وتيمة محوريّة في عديد الأعمال.

كما أنّه من الملاحظ أنّ الطرائق والأساليب والصّيغ الفنيّة قد تجددت فأضحت مبتكرة تلبس من خلالها المدينة الكثير من الأساليب التي تجعل منها فضاء مخاتلا يعبّر ويشارك في صنع الحدث ويمارس سلطة الرّفض والاحتجاج، فكان هذا الموضوع لطرافته وجدّته وثراء مدوّناته جديرا بالتناول زيادة على سهولة المنهج الذي تتناول من خلاله هاته الموضوعات، ولذلك وقع اختيارنا على "رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" للرّوائي السّوري خالد خليفة كونها جاءت حافلة بالعديد من أنساق الاتهام التي امتلأت بها المدينة المعاصرة، والتي يمكن تحليلها على أكثر من مستوى، فاعتمدنا منهجا موضوعاتيّا حاولنا من خلاله الوقوف على التّيمات البارزة في هذا الملفوظ السّردي، ومحاولة استكناه البعد المأساوي وتجليّاته فيها.

وقد جاء هذا البحث في محورين أحدهما نظريّ والآخر تطبيقي، حيث عنونّا المحور الأوّل ب: المدينة في السّرد الرّوائي الجديد، وضمّ عنصرين هما: (المدينة موضوعاتيّا ودلاليّا، المدينة فنيّا وأسلوبيّا)، أمّا المحور الثّاني فكان تطبيقيّا بعنوان: البعد المأساوي لفضاء مدينة حلب في رواية «لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة» لخالد خليفة، وضمّ بدوره ثلاثة عناصر كالآتي:(ملخّص الرّواية، مدينة حلب موضوعاتيّا؛ وضمّ بدوره ثلاثة عناصر فرعيّة هي: "الظّروف السّياسيّة، سيكولوجيّة الشّخصيّات، تسريد الموت في فضاء المدينة"، مدينة حلب فنيّا ودلاليّا; وضمّ بدوره ثلاثة عناصر فرعيّة هي: "تنامي القصص داخل المتن الرّوائي، البناء العضوي في الملفوظ السّردي، الإفرازات الدّلاليّة لفضاء مدينة حلب في الرّواية").

وقد استعانت هذه الدّراسة بجملة من المصادر والمراجع، يأتي في مقدّمتها: كتاب: "المدينة الضّحلة تثريب المدينة في الرّواية العربية" لصلاح صالح، وكتاب "في نظريّة الرّواية" لعبد الملك مرتاض وغيرها من المراجع.

لتطرح في النّهاية إشكالية البحث كالآتي: ما هي مكوّنات الصّورة المشهدية لفضاء مدينة حلب في رواية خالد خليفة؟ وما هو البعد الدّلالي الأكثر بروزا في متنها السّردي؟

2- المدينة في السّرد الرّوائي الجديد:

لأنّ الأدب دائما ابن البيئة التي نشأ بها، ولا يمكن أن يكون نشازا عن الحاضنة الجغرافية والثّقافية والاجتماعية التي أوجدته، فكذلك شأنّ الرّواية باعتبارها ملحمة العصر الحديث، انسحب عليها هذا القانون النّقدي، فجاءت« رواية المدينة» كشكل من أشكال الرّواية المعاصرة، حاملة في طيّاتها كلّ أشكال التّناقض وأنساق التفسّخ والاتهام التي غصّت بها المدينة المعاصرة سواء كانت غربيّة أو عربيّة، ترسم لنا بوضوح فضاء مغايرا ينبجس بدلالات الاختلاف والتّباين عمّا هو مألوف من قيم عرفتها الشّعوب والمجتمعات، فكان هذا الشّكل من أشكال الكتابة الرّوائية مخاتلا في تعامله مع هذا النّسق العمراني الجديد، كاشفا لملابساته من جهة، موّجها له أصابع الإدانة من جهة أخرى، محاكما لقيمه الجديدة أيضا، وكان للمدينة حضورها اللافت في المدوّنة الرّوائيّة المعاصرة كتيمة وموضوع ثريّ بمظاهره وصوره وتناقضاته، كما كان التّعامل معها ثريّا أيضا من النّاحية الفنيّة والجمالية باعتبار الصّيغ والأساليب التي لجأ إليها الرّوائيّون المعاصرون لتأثيث هذا الفضاء.

1.2 المدينة موضوعاتيّا ودلاليّا:

إنّ الملاحظ للأعمال الرّوائيّة الجديدة التي تظهر على السّاحة الأدبيّة المعاصرة سواء في عالمنا العربي أو الغربي، يجد أنّها أضحت تتخذ من المدينة تيمة لها، فلم تعد الرّوايات تكتفي بمكان معيّن من أمكنة المدينة لتتخذه فضاء تجري فيه الأحداث الرّوائيّة، وإنّما صارت المدينة كفضاء عامّ وشامل مسرحا لأحداث العديد من الأعمال الرّوائيّة، بل إنّ كثيرا من الأعمال تكاد تتخذ من المدينة بطلا للعمل الأدبي، وبذلك " تملي بنية المدينة بنية الرّواية، إنّها تسبق العقدة "(تاديه، 1998، صفحة 124) فتصبح هي المحرّك الأساسي للأحدث والموجّه المركزي للشّخصيّات." لقد رأينا كيف تتبنّى بعض المدن مصير الشّخصيّة في رواية القرن العشرين فتتوافق باريس في رواية «البحث عن الزّمن المفقود» مع السّيرة الزّمنيّة والرّوحيّة للرّاوي حسب جدليّة عناصرها: الحلم والخيبة والبعث، وهران تحيا وتموت من الطّاعون، ويتوافق بشكل أكثر عموميّة موت البطل مع موت المدينة ..." (تاديه، 1998، الصفحات 118-119)

فالمدينة المعاصرة بتعقيداتها المختلفة وما يضطرب فيها من ظواهر وأحداث مستجدة، لم يألفها الإنسان أضحت تشكّل مادّة دسمة لتطريز حبكات فنيّة غاية في التّعقيد توهم القارئ بواقعيّة المحكي الرّوائي، ولذلك " من الصّعب فهم تراكم الصّور القاتمة السّالبة للمدينة الرّوائيّة وقبول وجودها روائيّا في معزل عن حالة المدينة الواقعيّة التي تستنبت الاتهام والإدانة، فالمدينة الحيّة على أرض الواقع تبدو في حالة التّعاطي الرّوائي معها، هي الجذر الذي يؤسّس أنساق الاتهام، " (صالح، 2014، صفحة 139)

فالمدينة العربيّة على سبيل المثال تعرّضت في الكثير من الأحيان وعلى تعاقب الأزمنة إلى أشكال كثيرة من المسخ، وتمّ محو جمالياتها وبتر ذاكرتها كما حدث مع العديد من المدن العراقية التي كانت مشعلا للحضارة في وقت معين، فإذا هي تصبح أثرا بعد عين، بعد ظروف سياسية معروفة، بلغ فيها العبث والطيش بأرواح النّاس ومقدّراتهم أشدّه، وبذلك يفقد المكان ذاكرته، وينسف ماضيه، وتتشرّد شخوصه، وتنشأ إثر ذلك سيناريوهات

كثيرة، وسير حيوات متشعبة لشعوب مطحونة، ولأصوات كانت مقموعة، فتصبح "الرّواية سجلاّ وتاريخا لأولئك الذين لا تاريخ لهم حسب عبد الرحمن منيف" (صالح، 2014، صفحة 140) لأنّ الرّوائي ببراعته يأخذ بتلابيب نزيفهم لينسجه ضمن حبكات فنيّة، تكون هذه المدن المسحوقة في الغالب هي الفضاء العام لها، وهي المحور الأساس المحرّك للأحداث، والفاعل المركزي في تشكيل رؤية الكاتب ومشروعه السّردي.

إنّ المدينة المعاصرة بما تزخر به من مظاهر تنوّع وثراء على مستويات مختلفة ولّدت فنونا نثرية ما كانت لتظهر لولا هذا النّسق العمراني الجديد، فمثلما أنشأت في الغرب في زمن معيّن رواية البيكارسك أو ما يسمّى بالرّواية الشّطاريّة التي تروي مغامرات المحتالين ومحنهم ومخاطراتهم، أنشأت كذلك في تراثنا العربيّ في العصر العباسيّ تحديدا فنّ المقامة، فهذه الأخيرة ما كانت لتظهر في العصر العباسي " لولا وصول المدن إلى هذه الدّرجة من التّضخّم والفقر والاكتظاظ. لا يمكن أن تظهر المقامات في العصر الجاهلي. في مكة أو في غيرها من المدن، ظروف الصحراء خلقت الصّعاليك، وظروف المدن خلقت المقامات وأصحاب الكدية " (عبّود، 2002، الصفحات 195-196)

وينسحب هذا الأمر أيضا على رواية المدينة في وقتنا الحاضر فما كانت لتظهر بهذا السّخاء في مظاهرها وما تثيره من قضايا لولا أنّ المدينة المعاصرة قد خلقت " عالما شيطانيّا متفجّرا يعطيك في كلّ لحظة أشكالا وألوانا لم تكن تخطر لك على بال" (صالح، 2014، صفحة 144)

غير أنّ رواية المدينة في أدبنا العربيّ المعاصر شغفت بسرد مثالب المدينة، وإبراز نقائصها، والإمعان في تجريدها من أيّة قيمة جمالية، إضافة إلى التّعرّض لكلّ المظاهر السّلبية الكامنة في أرجائها وزواياها و" يعدّ وصف المظاهر غير المستحبّة للأبنية المدينيّة من أبرز الأفكار المتواترة (الثيمات) التي يتكرّر استعمالها في ذمّ المدينة واتهامها بالمسؤولية عن قبح ما فيها، وكأنّ ما يدعى (بالشّخصيّة الاعتبارية للمدينة) مسؤولة قضائيّا أو قانونيّا أو أخلاقيّا عن قبح ما تحتويه" (صالح، 2014، الصفحات 149-150)

وقد حفلت رواية المدينة بتوصيف هذه الجزئيّات السّلبية، بل نفذت إلى أعماق المدينة وما ينشأ في أزقتها وأحيائها وشوارعها من آفات وحوادث تسترعي الآلة الحكائية والحسّ السّردي الذي يصوغها في قوالب سردية، وكم هي كثيرة تلك الجزئيّات التي تستنبت داخل فضاء المدينة، خاصّة في أحيائها الجديدة الناشئة على عجل، والمكتظّة بالنازحين إليها من القرى والمداشر والتي تتحوّل غالبا إلى أماكن مشبوهة وأوكار للجريمة والدّعارة والشّذوذ، ومختلف الآفات التي يوّلدها هذا النّسق غير المتجانس.

هذه الفضاءات تصبح منفا قسريّا لإنسان المدنيّة الحديثة، وتنشأ في ثناياها الكثير من الشّخصيّات السلبيّة، ولذلك "لم يقتصر التّعريض بالمدن واتهامها بالمسؤوليّة عن تضيّيع الوافدين إليها، وتمييع كينوناتهم (النّقيّة) المزعومة[...] بل جاء ذلك عبر أشكال وآليات أخرى أقلّ تواترا، كتناول الشّخصيّات السّلبيّة التي يرتبط وجودها بالمدن أكثر من ارتباطها بالبيئات الأخرى ..." (صالح، 2014، صفحة 159)

وما أكثر تلك الشّخصيّات التي يستنبتها هذا الفضاء، والتي تتراوح بين الجنون والفساد وتشكيل العصابات المافيوية للسّطو على الأعراض والممتلكات و انتشار العبثيّة، والاستغلال، والقمع والتسلّط والإباحيّة وممارسة الشّذوذ، هذه الصّفات السّلبيّة التي تتوفر ممكناتها في المدينة.

2.2 المدينة فنيّا وأسلوبيّا:

لم تبق الرّواية المعاصرة رهينة الأساليب التّقليدية في التّعامل مع الفضاء باعتباره أحد مشكّلات البنية السّردية على أنّه حدود ومسافات معيّنة يؤتى بها في سياق إعطاء الملامح العامّة للبيئة التي تجري فيها الأحداث وتتحرّك فيها الشّخصيّات، وإنّما أصبح المكان في بعض الأعمال بؤرة العمل الأدبي في حدّ ذاته، يشتغل عليه الرّوائيّ اشتغالا تامّا ويتفنّن في نحت معالمه حتى لتكاد تغدو المدينة كفضاء شاسع في بعض الأعمال الأدبيّة هي البطل، لفرط ما يوليها الرّوائي من سلطة حضور وشغف سرديّ في تأثيث أرجائها، وذلك من خلال ابتكار أساليب وفنيّات جديدة في التّعبير والتّشكيل والتّنسيق، حيث نلاحظ أنّ "الرّوائيّين الجدد اغتدوا يتعاملون مع الحيّز الرّوائي بتقنيّات جديدة كالتّقطيع، والانطاق أو الأنسنة، والتّشخيص..." (مرتاض، 1998، صفحة 122)

أعطيت المدينة في الرّواية المعاصرة صوتا، واغتدت تعبّر عن هواجسها من خلال أنسنتها وجنسنتها وتأنيثها في الغالب، فهي في العديد من الرّوايات المعاصرة أنثى كاملة الأنوثة تعبّر عن قدرها، أحيانا ساخطة عن قاطنيها تكاد تلفظهم خارجها، وأحيانا تكفلهم وتحيطهم برعايتها وتغمرهم بحنانها كأمّ رؤوم، وفي صور أخرى تتبدّى لنا المدينة فتاة تمتهن العهر والدّعارة، تفتح أزّقتها وشوارعها للوافدين إليها كما تفتح المومس ساقيها للزّناة، وفي الغالب " يمكن إدراج تأنيث هذه المدن وجعلها تجسيدا لفكرة الأنوثة الفوّارة بالشّهوة والجنس في سياق استعمال التأنيث سبيلا للاتهام والهجاء والانتقام جنسيّا " (صالح، 2014، صفحة 153) فهذا الأسلوب في التّعامل مع المدينة يمثّل حالة استشفاء للرّوائي النّاقم على الوضع القائم غالبا في المدن، فنجده يحمّل المسؤوليّة التّامة للمدينة لاحتوائها هذا الكمّ الهائل من الزّيف.

و يجدر بالذّكر في هذا السّياق أنّ الرّوائي في تسريده لهذا الفضاء المديني الذي يتبدّى في الغالب كرقعة مأزقيّة حافلة بالمثالب والسّلبيات، تموج بالنّقائص وتتفجّر بمظاهر التّناقض والزّيف، يلجأ إلى أساليب وفنيّات جديدة تأتي غالبا " على طريقة التّصوير السّينمائي، أو التّلفزيوني التّوثيقي الذي يعمد فيه المصوّر إلى حشد مجموعة من المشاهد المتتالية المتنافرة أو المتناغمة، تاركا لآلة التّصوير (الكاميرا) حريّة الحركة وللمشاهد فعاليّة الرّبط، والحكم على ما يشاهده " (صالح، 2014، صفحة 145) لأنّه في فضاء ثريّ بالمشاهد، حافل بالأحداث، فما يحدث في المدينة من حوادث على تراكمه تلتقطه حاسّة الرّوائيّ السّردية فتحيله ببراعة إلى مشاهد تشبه اللّقطات السّينمائية المتتابعة التي نشاهدها في الأفلام والوثائقيّات.

وباعتبار الرّواية الجديدة مسرحا للتّجريب وآلياته المختلفة، فقد تغيّر مفهوم الحيّز بالنّسبة للرّوائيّين فظهر نوع من السّرد الأسطوري نلمحه أحيانا في الحديث عن المدن، يتمّ من خلاله تعشيق السّرد والحكي مع التّراث الشّعبي

للأمم والشّعوب، ليضفي على المكان سحرا بفضل التّخييل، ويجعل من المدن أجسادا وأرواحا تستعير أصواتا ومشاعر تعبّر بها عن نفسها، ففي رواية ذاكرة الجسد مثلا نجد أنّ مدينة " قسنطينة بأكملها هي أحلام" (مفقودة، 2006، صفحة 254) تارة تلبسها الكاتبة أثوابا، وتارة تنطقها فتعبّر عن مشاعرها، أحيانا تأتي في صورة الأم وأحيانا أخرى في صورة المعشوقة.

3-البعد المأساوي لفضاء مدينة حلب في رواية «لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة» لخالد خليفة:

1.3 ملخّص الرّواية:

رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" لخالد خليفة، رواية صادرة عن دار الآداب ببيروت، في طبعتها الأولى سنة 2013، تقع في 256 صفحة، وقد حازت على جائزة نجيب محفوظ للرّواية عام 2013، ودخلت القائمة النّهائيّة القصيرة للجائزة العالمية للرّواية العربية المعروفة باسم "جائزة بوكر العربيّة".

تدور أحداث هذه الرّواية في فضاء حلب بين ريفها ومدينتها، حول عائلة تبدأ حياتها هادئة لينتهي مصيرها بالتّفكك والانهيار وخيبات الأمل، يستخدم الرّوائي فيها تقنيّة الرّاوي العليم في سرد تفاصيلها، يأتي السّرد فيها وفق تناسل عضوي، من خلال توالد القصص الدّاخلي، حيث يمارس الحكي داخل الحكي، تبدأ بالحديث عن موت الأم وتنتهي بتصوير فجائعيّة هذا الموت.

تحكي الرّواية سيرة جيل مطحون بأوهام المجتمع وفساد السّياسة، يقتات من ذكريات الطّفولة، يتمنّى تغيير واقع لا يتغيّر، والسّارد ينتقل بنا بتصوير مصير عائلتين هما العائلة الكبرى، عائلة جدّه لأمّه وأخواله، وعائلة صغرى تبدأ بزواج أمّه وأبيه، غير أنّ أقدار العائلتين متشابهة لتشابه الظروف والمدينة التي احتضنت مآسيهم جميعا، فيبدأ بالحديث عن جدّ مغترّ بماضيه في الخدمة بمحطّة سكك القطارات، مزهوّ حتّى النّخاع بالأوسمة التي نالها، إلى الحديث عن الخال نزار وشذوذه ورحلة بحثه عن تحقيق ذاته ونجاحه كونه كان عازفا بارعا وصاحب مقطوعات بارعة هي ظلال النّدم استغلّها بعض الموسيقيين للشّهرة، إلى الحديث عن الخال عبد المنعم وغطرسته وظلمه لإخوته في الميراث، والخالة الوحيدة ابتهال التي تبدو مولعة بتقاليد الحياة العثمانية، تحتقر سكّان الرّيف وتسخر من أختها لقبولها الزّواج برجل ريفيّ، إلى الأمّ التي كانت معلّمة في المدرسة، امرأة رومانسية حالمة كما يصفها السّارد، تعيش حياة أرستقراطيّة مزيّفة.

في معترك السّرد يأتي الرّاوي على ذكر قصّة زواج أبيه من أمّه والصّعوبات التي واجهت هذا الزّواج، فالوالد كان رجلا ريفيّا والأمّ امرأة من المدينة تعيش حياة عصرية بكلّ مقاييسها، يحدث الزّواج، وتبدأ الخلافات بين الزّوجين، وفي خضمّ الخلافات يولد أربعة أطفال، يتركهم الوالد مع أمّهم في النّهاية ويتزوّج بامرأة أمريكيّة يهاجر برفقتها إلى أمريكا، يتولّى أحد الأبناء مهمّة السّرد في الرّواية ولم يحدّثنا عن نفسه في النّص إلاّ لماما، ينتقل إلى أخته سعاد التي كانت تعاني إعاقة ذهنية وحركية، وتعاني جفافا عاطفيّا من والدتها التي كانت تشعر بالإحراج من رفيقاتها عندما يرين ابنتها، الأخ رشيد الذي دفعته والدته من الصّغر إلى تعلّم الموسيقى والعزف، فصار عازفا

بارعا يتجوّل مع خاله نزار ضمن فرقته، لكنّه عانى اضطرابا روحيّا فعاش تائها بين المسيحيّة والإسلام وانتهى به الحال إلى التّطرّف والانضمام إلى الجماعات المسلّحة لمحاربة الأمريكان في العراق، ثمّ الانتحار في النّهاية، وأخيرا تأتي الأخت سوسن التي يلحق بها السّارد صفة المرحة، والتي كان مصيرها أشدّ تعقيدا فأحيانا هي فتاة متهتّكة عاهرة يأخذها أصحاب النّفوذ والوجهاء وأصحاب الرّتب العسكرية إلى فيلاتهم للتسلّي بها، تتعرّض إلى الكثير من التحرّش في الجامعة والشّارع، وأحيانا هي فتاة متحجّبة زاهدة ورعة، تقرّر التوبة، وينتهي مصيرها في الأخير بالزّواج والهجرة إلى فرنسا.

"لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" رواية فريدة من نوعها، تشعر معها تارة بالكآبة التي تنسرب من الأحداث ونفسيّة الشّخصيّات، وتغوص في أعماق القارئ، رواية تتناول المحظور بجرأة غير معهودة، وتقوم بتشريح دقيق للتّناقضات الاجتماعيّة، والتّعبير عن نفاق المجتمع، ونفاق الأنظمة الحاكمة واستبدادها وعبثها بمصائر ومقدّرات الشّعوب، في مدينة تتحوّل إلى رماد مأساوي يطحن قاطنيه، فخالد خليفة في روايته:" ذهب إلى النّهاية القصوى التي بلغتها مدينة حلب في ظلّ الاستبداد، والتنفّع والتطرّف، فجاءت الرّواية نبشا في هوية المدينة المحتضرة، وحفرا فيما تعرّضت له من اختلال اجتماعي، وقيمي، خلال نصف قرن من الزّمن " (إبراهيم، 2019، صفحة 313)

إنّها باختصار رواية القدر المجهول، والقادم الذي لا يأتي، والموت المرتقب الذي يأتي متثائبا في غير أوانه، رواية تطرح أسئلة أنطولوجيّة حول الحياة والموت والخوف والمصير والقدر والوجود، إنّها تصّور بحسّ سرديّ خارق الذّات المعاصرة الضّائعة في عالم شيطانيّ لا يرحم، تضيع تارة بين المذاهب الدّينيّة، وتارة بين المنافع الماديّة، وتارة بين الحقيقة واللاّحقيقة في رحلة بحث سديميّة لا تنتهي إلاّ بالغرق واللاّجدوى.

2.3 مدينة حلب موضوعاتيّا:

في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" يرسم لنا الرّوائي مدينة خارجة عن المألوف في كلّ ما يشغلها، تقتات من التناقض، ويعشّش الوهم والتّفكّك والشّتات في أرجائها، إنّ الرّواية تصوّر بشكل مأساوي " الوضع الكارثي الذي أفضت إليه الحرب ضدّ الذّات من خوف ورهاب ووحشيّة ودمويّة نكّلت بالجسد الدّامي، ووضعت إنسانيته في وضع حرج للغاية..." (الحجري، 2014، صفحة 42)

والبعد المأساوي هو أكثر الأبعاد الدّلاليّة التي أفرزها السّرد المشهدي لمدينة حلب، بأزقتها وأحيائها، بأحداثها وشخوصها، وبالظّروف السّياسية والاجتماعيّة المؤطّرة لكلّ ذلك، فهناك تقيّح تعيشه المدينة في جانبه السّياسي، وهناك شخصيّات اجتماعيّة مضطربة تائهة في الزّمان والمكان، وهناك أيضا هاجس الموت الذي شكّل رابطا عضويّا، وظلّ يشغل كلّ شخصيّات الرّواية، ويأخذ لنفسه قسطا وافرا من السّرد، هذه العناصر الثّلاثة بتظافرها ساهمت في تعميق البعد المأساوي لفضاء مدينة حلب في متن الرّواية.

1.2.3 الظّروف السّياسيّة:

إنّ القارئ لرواية خالد خليفة، يلمس تلك الجرأة وذلك الوضوح الشّفاف في تجلية الواقع السّياسي المأساوي المر الذي انخرطت فيه المدينة، بسبب وصول المافيا السّياسيّة إلى الحكم، والوصوليين والانتهازيين، مصاصي دماء الشّعوب، والمتمثّلين في الرّواية في حزب البعث السّوري، ولا غرابة في التّوصيف الذي يعمد إليه السّارد في نصّه، فقد " أفرزت التغيّرات السّياسيّة والدّينيّة التي شهدتها المجتمعات العربيّة، رؤى مأساويّة للعالم، وقد حضر السّرد لتمثيل الأحلام المتراجعة للأمم والجماعات والمدن وما تشهده من تقلّبات في المصائر ..." (إبراهيم، 2019، صفحة 312)

عاشّت الشّعوب العربيّة منذ النّكبة والنّكسة إلى ثورات ما سمّي بالرّبيع العربي وإلى يومنا هذا العديد من خيبات الأمل، وتعرّضت للعديد من المآسي والآلام، بتكالب الدّاخل قبل الخارج على طموحاتها، فجاء السّرد في بعض مقاصده لرأب هذا الصّدع، وتسلية النّفوس المحتقنة وذلك باستعارة لغة هجوميّة غير مهادنة تميل إلى فضح الإيديولوجيات المقيتة، وتعرية الحقائق المطموسة، والصّفقات المشبوهة، منتصرة للصّوت المقموع، معطية سلطة حضور لمن لا حضور له في الواقع، في فترة عربيّة حكمت فيها الأنظمة الدّيكتاتورية والأخرى البوليسيّة، وتتبّع فيها المخبرون أنفاس الشّعوب، وتجسّسوا على نواياها وضمائرها، وهو ما تعالجه رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" بدقّة متناهية، خاصّة عندما يأتي على لسان والدة السّارد قولها: " إنّ المخبرين سكنوا أوراق الشّجر " (خليفة، 2013، صفحة 154)

فمنطق الحكي الذي يستعمله الرّوائي يعطينا صورة عن رجل الأمن في البلاد العربية وفي سوريا تحديدا في تلك الفترة، إنّه يتتبّع النّاس ويلازمهم كظلّهم، وكلّ من لم ينضمّ للحزب الواحد، ولم ينشد أناشيد الحزب، أو يهتف بحياة الرّئيس، فهو معارض، يحمل نوايا سيّئة متّهم على الدّوام.

تأتي الرّواية في محطّات كثيرة أيضا على تقديم صور مخزية لسياسة الرّئيس الحاكم بسلطة الحزب الواحد، والذي يشتري بنفوذه كلّ السّلطات حتّى السّلطة الإعلامية، إضافة إلى ذكر غطرسة رجال المخابرات وتضييقهم على الحريّات، وتغلغلهم في شتّى مفاصل الدّولة، وتلصصهم حتّى على الطلبة في الجامعات لمعرفة انتماءاتهم، يصف الحزبيّن بقوله: " يسير الحزبيّون بفخر خلف الرّفيق جابر، الذي يتلقّى تعليماته من فروع المخابرات، منتفخي الصّدور، يقرعون البلاط البارد في الممرّات، يتجسّسون على أنفاس الطلاّب والأساتذة والموظّفين الذين لا يجرؤون على اعتراض طريقهم، يخرجون الطلاّب من قاعات الدّروس ويقودونهم في مناسبات الحزب بمسيرات تأييد... " (خليفة، 2013، صفحة 71)

كلّ هذه الظروف زرعت حالة من اليأس والخوف في أوساط الشّعب الذي استبيحت حياته واستبيح حاضره وماضيه ومستقبله، وأصبح يعيش حالة من الاغتراب والقلق الاجتماعي أصبحت معه مدينة حلب فضاء للرّعب والخوف، وحدوث سيناريوهات تراجيديّة.

2.2.3 سيكولوجيّة الشّخصيّات:

شخصيّات الرّواية كما يرسمها الرّوائي كلّها مهتزّة، غير متوازنة، تائهة بين ماضيها وحاضرها، تقترب من مستقبلها المجهول بخطوات متثاقلة مرتبكة، ولذلك ركزّت الرّواية على الجانب السّلبي في الشّخصيّات الذي شكّل النّسبة الكبرى من ملامحها، ومن ملامح السّرد كذلك، فموضوع التّمثيل لم يجاف المرجع، وإنّما جاء في كليّته معزّزا له، ففي عائلة الجدّ يركّز السّارد على شخصيّة سلبيّة متمثّلة في الخال نزار، الذي أعطاه سلطة حضور في النّص من بداية الرّواية إلى آخرها، وهو شخصيّة تعاني الشّذوذ، وتعيش بسببه اضطرابا نفسيّا في عائلة محافظة، ومجتمع متمسّك بأغلال التّقاليد يرفض الخروج عن سلطة المألوف، على الرّغم من كونه عازفا بارعا يحظى باحترام الكثيرين في الوسط الفنّي، يكتب رسالة إلى أخته المعلّمة، وهي والدة السّارد، بعد ما تزوّجت، يشكو لها حاله وهواجسه واحتقار أفراد العائلة له:" يحدّثها عن بحثه في محلاّت العزيزيّة عن كريمات مطريّة لجسده، وإعجابه بماركات العطور النّسائيّة الجديدة، يسهب في شرح آلام لا تفارقه، وحين يصل إلى صديقه الذي دعاه إلى سريره في الشّتاء الماضي، يتوقّف عن الكتابة ويمحو الكلمات " (خليفة، 2013، صفحة 31)

من الشّخصيّات المحوريّة التي نالت حظّا وافرا من الاهتمام السّردي نجد أخت السّارد سوسن المرحة، وهي شخصيّة كذلك مهتزّة تتسم بالتهتك، والإغراء، فاتنة ومفتونة بجسدها، تائهة بين الحق والباطل، تتجوّل بين بيوت وقصور أصحاب الجاه والسّلطة والمال يشبعون نهمهم من جسدها، فحتّى أساتذتها في قسم الفرنسيّة: " يرمون لها بقصاصات ورق كتبت عليها عناوين منازلهم، ينتظرونها في غرف نومهم، يضعون العلامة التي تريدها، ثمّ تضطجع ببرود وتخلع ثيابها..." (خليفة، 2013، صفحة 42)

انضمّت إلى الحزب، والتحقت بصفوف المظليّات، هناك تعرّفت على القائد العسكري منذر، الذي أغرم بجسدها، فصارت تخرج معه، وكثيرا ما كانت تغيض رفيقاتها المظليّات عندما تروي لهنّ تفاصيل مغامرتها معه" تحتضنه أمامهنّ، تقبّله من شفتيه في السيّارة [...] في اليوم التّالي تروي لهنّ بالأسماء الصّريحة للأعضاء تفاصيل ليلتها معه..." (خليفة، 2013، الصفحات 70-71)

لكنّها سرعان ما تحاول الانسلاخ من شبقيّتها الزّائدة، وترويض شهوتها المفرطة، تصرف عنها كلّ ذلك وتفضّل التّوبة، وكبح جماح نفسها، فصارت تصاحب الفتيّات المحجّبات الملتزمات اللّواتي يدرسن معها، تصطحب بعضهنّ أحيانا للبيت، تنبّه إخوتها الذّكور إلى عدم جواز مصافحتهنّ لأنّهنّ أجنبيّات، ينشدن أناشيدا دينيّة في البيت، ويتحدّثن في أمور تعبديّة، حدث تغيّر عميق في شخصية سوسن فلم تعد مرحة، كانت كما وصفها السّارد: " تغرق في التّطرّف والفتاوي يوما بعد يوم، غطّت وجهها وأصبحت تتحاشى النّظر إلى الرّجال الوسيمين..." (خليفة، 2013، صفحة 70)

كانت هذه بعض النّماذج عن الشّخصيّات المتأزّمة التي برع خالد خليفة في نحت تفاصيلها ونسج مأساتها، والتي جاءت لتضفي مزيدا من التراجيدية في تسريد الأحداث، وتطبع مدينة حلب بطابع المأساة.

3.2.3 تيمة الموت في فضاء الرّواية:

الموت في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" تيمة بارزة، إنّه هاجس أغلب الشّخصيّات التي عاشت حياة مضطربة، تموج بالمآسي والتناقضات، ترى في الموت الخلاص الوحيد من المعاناة في مدينة معاقبة تعيش حالة احتضار، حيث يأتي ذكر الموت بلفظه الصّريح في الرّواية أكثر من خمس وثلاثين مرّة.

كان الموت في هذا النّص كحقيقة فجائعيّة يأتي مجانيا، لكنّه متباطئ، متأخّر عن موعده، تكاد تطلبه بعض الشّخصيّات، وتتمنّاه لبعضها البعض، والسّارد يبدأ صفحته الأولى في سطرها الثّاني بذكر الموت، وينهي روايته في آخر سطر من آخر صفحة بذكر الموت، فيغدو بذلك بؤرة محورية وكلمة مركزية ارتبطت بالسّرد و بأقدار الشّخصيّات، فساهم في تعزيز الرؤية المأساوية التي اصطبغ بها المحكي الرّوائي.

يصوّر لنا الكاتب مثلا رائحة الموت التي أصبحت تفوح من جسد أخته سعاد شبه المعاقة، التي كم تمنّت لها والدتها الموت، حيث كانت – وهي المعلّمة التي تعيش بورجوازيّة كاذبة – تتمنّى موت ابنتها سعاد وتخجل أمام صديقاتها من منظر ابنتها، يصوّر لنا السّارد ابتسامة سعاد العذبة رغم المعاناة، قائلا: "سعاد تجذبني إليها، تسحرني ابتسامتها الرّقيقة. أقول لسوسن بأنّها تريد الموت، ولن تحزن أمّي على فراقها كما سنحزن نحن، تعتبرها عارها الذي سيقضي على أحلامها..." (خليفة، 2013، صفحة 37)

لعلّ أقدار أفراد هذه العائلة التي عاشت أمومة كاذبة، جعلها ترى في الموت خلاصا لها، فحتّى رشيد عاش الكثير من الأزمات وخيبات الأمل، ابتداء من الاغتراب الجسدي الذي كان يعيشه، حيث كان يتشهّى جسد أخته سوسن، ويرقبها خفية، إلى اغترابه الرّوحي، فكان ضائعا بين المسيحيّة والإسلام، ووصل إلى التّطرّف والذّهاب إلى قتال الأمريكيين في بغداد، ليدرك هناك حقيقة الموت وتفحّم الجثث، هناك " فكّر رشيد للمرّة الأولى بصورة الموت، لم ينقذه يقينه هذه المرّة، تراءت له الصّور ملوّنة، أصابه الرّعب حين تخيّل جثته محترقة" (خليفة، 2013، صفحة 209)

لكنّ المفارقة في كون الموت أبى أن يأخذ رشيد، فقرّر هو الذّهاب إليه بنفسه، ووضع حدّ لحياته، فمات منتحرا، يتحدّث السّارد عن ذلك قائلا: " فتحت باب غرفتنا وأصابني دوار، جثّة رشيد متدليّة من السّقف كلمبة كهرباء ملوّثة بخراء الذّباب، رآه نزار من فتحة الباب وتعالى صوت نشيجه. كان يعرف أنّه سيموت" (خليفة، 2013، صفحة 255)

هكذا كان الموت عبثيّا في قدومه، مأساويا فيما يخلّفه من أثر خلفه، لشخصيّات كتب لها السّرد أن تحيا لا لتعيش بل لتنتظر نهايتها التراجيديّة في مدينة لم تعد تتّسع إلا للموت، موقنة بمجيئه ذات يوم.

3.3 مدينة حلب دلاليّا وفنيّا:

في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" تصبح مدينة حلب فضاء تتناسل فيه المآسي بتناسل المحكي من قصص داخلي يورده الكاتب تعضيدا لبنية الرواية العميقة التي كانت ترشح بتشخيص وتجسيد حجم الخراب والدّمار الذي حلّ بالمدينة التي تكاد تلفظ أنفاسها، وعلى الرّغم من تشظّي السّرد في الرّواية إلاّ أنّ البنية

العامّة متماسكة، فهي رواية جديدة، ولكي تنال أي رواية هذا الوصف فإنّها لابد، أن تتوفر حسب شكري عزيز الماضي على أمرين" الأوّل تصوير أزمة من أزمات وجودنا المعاصر، والثّاني أنّها تضيف جديدا على صعيد البنية السّرديّة أو الشّكل" (الماضي، 2008، صفحة 103) وهذا ما نزعم أنّ رواية خالد خليفة قد حققته من النّاحية الدّلالية والفنيّة، ففي عمقها تشخيص لأزمة الواقع العربي المعاصر الذي يعاني التشرذم والمآسي والخراب والاستغلال والتسلّط والتنفّع، والفساد والشّذوذ، والظّلم والدكتاتورية وفساد الأنظمة، وتفكك السّرد فيها ما هو إلاّ صورة منعكسة لتفكّك أحداث وفضاء المرجع.

1.3.3 تنامي القصص داخل المتن الرّوائي:

في نسيج رواية خالد خليفة تتوالد العديد من القصص الداخلية التي جاء بها الرّوائي لتأثيث المشهد السّردي وإضفاء الشّرعيّة الأدبيّة على المحكي الرّوائي، إضافة إلى أنّها تكاد تجتمع في الطّابع المأساوي الذي انسرب على فضاء المدينة وفضاء الأحداث بصفة عامّة وطبع الرّواية عموما بهذا الطّابع التراجيدي.

تتردّد في الرّواية قصّة حياة جان عبد المسيح، معلّم اللغّة الفرنسية، كانت سوسن أخت السّارد معجبة به، وكان سببا في اختيارها للّغة الفرنسيّة بسبب ولعها به، "كتبت له رسائل رقيقة، أخبرته عن وحشتها بعيدا عنه، من أجله أحبّت اللّغة الفرنسيّة ودخلت كليّة الآداب" (خليفة، 2013، صفحة 43)

تأتي الرّواية على ذكر الكثير من تفاصيل حياته، بداية من رجوعه من جنيف أين كان متزوجّا بكوليت التي طلّقها، وتركها مع ابنه ليعود إلى العناية بوالدته السّت ماري عبد النّور التي كانت مدرّسة رياضيّات والآن أصبحت عجوزا تدخل في غيبوبات قصيرة، تنشأ بين جان وسوسن علاقة حب غير أنّ اللقاءات بينهما لا تكون مستمرّة بل يتخلّلها كثير من الانقطاع، هو رجل يألف البيت ولا يحبّ الخروج كثيرا، يبقى دائما بجوار والدته، وسوسن فتاة نابضة بالحركة وحبّ التجوال، لكنّها تزوره في بيته تدخل معه في حوارات حميميّة، ويسترجعان معا ذكرياتهما.

من القصص كذلك التي يأتي السّارد على ذكرها قصّة صديق طفولته الفتى آزاد الكردي راعي الماعز، والذي كان رفيقه عندما سكن وعائلته الرّيف في ميدان أكبس، يروي السّارد تفاصيل مغامراته مع رفاق الطفولة وخاصة آزاد الذي كان يقودهم في جحافل إلى الحدود السورية التركيّة، يقول السّارد: "كنّا نشير بأيدينا لحرّاس الحدود الأتراك في محارسهم، نقذف لهم بعناقيد العنب والرّمان، محاولين إفهامهم باللّغة الكرديّة التي تعلّمت بعض كلماتها أنّنا سكّان المحطّة " (خليفة، 2013، صفحة 110)

وتتردّ قصص أخرى داخل متن الرّواية منها قصّة المصوّر الأرمني قره بيت الذي يلاحق سوسن سنوات عديدة آملا التقاط صورة لها وهي عارية، ليفتتح معرضة الأوّل للجسد في باريس، إضافة إلى قصّة جار العائلة الذي قتل زوجته التي وجده تخونه مع بائع الغاز، وعرض أولاده للبيع.

يأتي كلّ هذا القصص الداخلي ليؤثّث السّرد المشهدي، ويزيد في تعميق طابع الخراب والأسى والمأساة التي حلّت بمدينة حلب، في ظلّ التّشتت والتشرذم الذي تسلّط على النّفوس.

2.3.3 البناء العضوي في الملفوظ السّردي:

على الرّغم من كون السّرد جاء متشظّيا في رواية خالد خليفة " فالرّواية تعتمد على جماليّات التفكّك بالدّرجة الأولى، أي على جماليّات التّجاور والتوازي والتّزامن" (الماضي، 2008، صفحة 105) إلاّ أنّ البنية السّردية عموما يحكمها خيط ناظم، وهو في الحقيقة خيط دلاليّ ساهم في جعل الرّواية كتلة بنيوية عضويّة متماسكة، وقد ساهم في ذلك أمران مهمّان أوّلهما حديث السّارد عن موضوع واحد هو مصير عائلة واحدة وإن تعدّدت مصائر شخصيّاتها، وثانيهما البعد المأساوي الذي خيّم على سرد الأحداث، ويأتي الموت كقرينة لفظية تعزّز هذا الطابع، بسبب كثافة حضوره.

تبدأ الرّواية منذ الصّفحات الأولى بالحديث عن عائلة السّارد، التي بدت في البداية متماسكة، تعيش حياة مثاليّة، فيصوّر لنا عائلة " تجلس بهدوء إلى مائدة طعام تغطّيها شراشف ملوّنة، قرب الصّحون البيضاء، فوطات تصرّ أن يربطها الجميع إلى رقابهم قبل بدء تناول طعامهم بهدوء تشبّهه سوسن بصمت القبور [...] تنبّه أمي الجميع إلى أن يسيروا على رؤوس أصابعهم، بينما موسيقى أوركسترا فيينا تصدح في أرجاء المنزل..." (خليفة، 2013، صفحة 37)

غير أنّ هذا التّلاحم سرعان ما يتحوّل إلى تشتّت وتفكّك، فتعبث الأقدار بمصائر الشّخصيّات وتتحوّل إلى رماد في مدينة يغزوها الخراب، فالرّواية عموما تصوّر مأساة الإنسان المعاصر الذي يعيش الفراغ والتمزّق و"يذوب في الزّحام، ويخسر دفء العائلة والانتماء العضوي، ويندفع مغتربا في شوارع عريضة مستقيمة" (بوذيب، 2015-2016، صفحة 62)، فالسارّد يصوّر لنا هذا الاغتراب الذي باتت تحسّ به الشّخصيّات حتّى داخل جدران البيت الواحد فيقول: "جميعنا نسير في البيت غرباء، أحدنا عن الآخر، تجاه الأثاث الذي بدأ يتهالك" (خليفة، 2013، صفحة 140)

فإخفاق أغلب أفراد العائلة في مصير حياتهم، وركضهم خلف مستقبل مجهول، في مدينة يعمّها البؤس عمّق من مأساتهم، ووسّع الهوّة بين مسارات التقائهم، ولذلك كان مفهوم العائلة والألفة التي يحسّها المرء بين جنباتها بالنّسبة لعائلة السّارد حلما منشودا بعيد المنال، فنجده يصرّح في آخر الرّواية: " حاولت رسم صورة تلك العائلة المفترضة [...] اكتشفت بأنّني لا أعرف صور تلك العائلة. مضت كلّ هذه السّنوات ومازلنا نحلم بجلوسها الهادئ إلى طاولة الغداء" (خليفة، 2013، صفحة 254)

إنّ هذا البناء العضوي المتماسك في تفككه والمتفكك في تماسكه ولّد بنية سرديّة متفرّدة، وأسهم في تكريس الطابع العام في هذه الرّواية، إنّه طابع الحزن والتلاشي وضياع الذّات في المدينة المعاصرة.

3.3.3 الإفرازات الدّلاليّة لفضاء مدينة حلب في الرّواية:

تكرّر ذكر مدينة حلب في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" أكثر من 15 مرّة، وتمّ نعتها بأوصاف صريحة أحيانا ومكنّاة عنها أحيانا أخرى، غير أنّ النّسبة العليا من هذه الأوصاف جاءت ترشح بالسّلبيّة، وسنوضّح من خلال الجدول التّالي مجموع هذه الأوصاف ونقوم بالتّعليق عليها:

المدينة	الوصف الملحق بها (صريحا / مكنّى عنه)	الصّفحة
حلب	– حلب الموحشة.	9
	– حلب مكان زائل كما النّسيان.	14
	– تحوّل مدينتهما الرّائعة – حلب– إلى خربة.	28
	– مدينة ... مهجورة، صامتة، مظلمة.	39
	– المدينة القذرة التي تحوّلت إلى مكان للقتل.	46
	– المدينة العتيقة.	56
	– مدينة مدمّرة.	71
	– مدينة معاقبة.	71
	– أحبّت أمّي شوارع حلب النّظيفة.	91
	– العبث الذي غرقت فيه المدينة صدمني.	153
	– مدينة عوقبت قبل التّاريخ.	169
	– حلب مدينة أشباح.	192
	– هذا المكان المثقل بالخسارات.	192
	– المدينة الصّامتة.	197
	– مدينة يتجوّل فيها القتلة.	242

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ توصيف الكاتب للمدينة يرشح بالسّلبيّة، فالمدينة غارقة بالتناقضات، والأوصاف الإيجابيّة القليلة جدّا مثل: نظيفة، ورائعة، لا تمثّل في الحقيقة إلا واقع المدينة في الماضي، قبل أن تغزى بشذّاذ الأرياف ومغتصبي السّلطة على حدّ تعبير الكاتب، فتصوير المدينة وصبغها بطابع المأساويّة يجيء بين ماض جميل، وحاضر بائس آلت إليه حلب.

تتحوّل مدينة حلب في حاضرها حسب توصيف الكاتب إلى مدينة معاقبة، فالعقاب فيها أصبح قدرا، ويأتي بصيغة تراتبيّة، فهي "مدينة عوقبت عبر التّاريخ من قبل حكّامها، فعاقبت أبناءها العباقرة في دورة تبادل عنف" (خليفة، 2013، صفحة 169)

إنّ مدينة حلب أصبحت في الرّواية كفتاة منتهكة الشّرف، استبيحت واستبيح أهلها، وغارت القيم الإيجابية وضاع إنسانها في الزّحام، ففقدت هويتها وامحت معالمها، في تصوير سرديّ مشهديّ توثيقيّ يراد منه تمويت المدينة، عند نعتها بأقذع الصّفات، وطمس كلّ قيمة إيجابيّة فيها.

يعكس لنا هذه الصّورة القاتمة والواقع المأساوي حجم التقارير المهول التي كانت ترفع للرّئيس والتي تصوّر حجم الفساد الذي انخرطت فيه المدينة، ذلك أنّ " التّحقيق فتح بأمر من الرّئيس، الذي تلقّى أكثر من ألف وأربعمائة تقرير تتحدّث عن العنف والتحرّش في الشّوارع، والفساد الذي أصبح منظومة تحكم كلّ شيء..." (خليفة، 2013، صفحة 164)

فالفساد أصبح السّمة الغالبة على حلب وساهم في تكريس الصبغة التراجيدية على هذه المدينة، ولم تكن فيه عائلة السّارد سوى عيّنة عن جيل مسحوق، بددته الإيديولوجيّات السّياسية، والسياسات التنفّعية التسلّطيّة، واستغلال الضّعفاء، والعبث بمصائرهم، ونشر الخوف وزرع البلبلة في صفوف البسطاء، وتشويه ماض تليد لمدينة حاملة لأمجاد عتيقة، أصبحت ترفل في ثياب البؤس والتخلّف والانحطاط.

4- الخاتمة:

يمكننا أن نوجز أهمّ النّتائج التي توصلنا إليها في مداخلتنا هذه فيما يلي:

- للمدينة حضورها اللاّفت في المدوّنة الرّوائيّة المعاصرة كتيمة وموضوع ثريّ بمظاهره وصوره وتناقضاته، فقد أضحت محور العمل الأدبي، تأخذ اهتماما وتناولا سرديّا بأساليب وصيغ فنيّة متباينة كالتّفتيت والتأنيث والأنسنة والجنسنة.

- لم تعد المدينة في الملفوظ السّردي المعاصر مجرّد حيّز جغرافي يتمّ تصويره بطريقة مجرّدة، وإنّما أصبح فضاء متسع الدّلالات، وأبرزها الدّلالة المأساوية نظرا لكثرة الأزمات التي يعيشها الإنسان المعاصر.

- رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" تصوّر مأساة الإنسان المعاصر، ومأساة حلب كمدينة معاصرة، في ظلّ واقع اجتماعي وسياسيّ جديد، وفق سرد مشهديّ توثيقيّ، ينفذ إلى أعماق المدينة وأعماق الذات المعاصرة ليكشف لنا عن هول الخراب والدّمار الذي ألمّ بالمدينة فانسرب على الذّات والشّخوص التي أضحى الموت رغبة جامحة بالنّسبة لها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم الحجري، (2014)، الرّواية العربيّة الجديدة السّرد وتشكّل القيم ALNAYA للدّراسات والنّشر والتّوزيع، سوريّة، دمشق.

2- جان إيف تاديه، (1998)، الرّواية في القرن العشرين، تر: محمّد خير البقاعي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، دم.

3- حنّا عبّود، (2002)، من تاريخ الرّواية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق.

4- خالد خليفة، (2013)، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب، بيروت.

5- شكري عزيز الماضي، (2008)، أنماط الرّواية الجديدة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت.

6- صالح مفقودة، (2006)، قسنطينة والبعد الحضاري للمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، مجلّة العلوم الإنسانية، مجلّد11(عدد1).

7- صلاح صالح، (2014)، المدينة الضحلة تثريب المدينة في الرّواية العربيّة، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، سوريا.

8- عبد الله إبراهيم، (2019)، أعراف الكتابة السّرديّة، المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر، لبنان.

9- عبد الملك مرتاض، (1998)، في نظريّة الرّواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

10- الهادي بوذيب، (2015-2016)، المدينة في الرّواية العربيّة الجزائريّة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب واللّغات، جامعة الجزائر2، الجزائر.